

مختصر ابن كثير

5 - وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين .

6 - وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين .

يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله وكليمه (موسى بن عمران) عليه السلام أنه قال لقومه : .

{ لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم } أي لم توصلون الأذى إلي وأنتم تعلمون صدقي فيما جئكم به من الرسالة ؟ وفي هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أصابه من الكفار . وقوله تعالى : { فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم } أي فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به أزاغ الله قلوبهم عن الهدى وأسكنها الشك والحيرة والخذلان كما قال تعالى : { ونذرهم في طغيانهم يعمهون } وقال تعالى : { ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا } ولهذا قال تعالى في هذه الآية : { والله لا يهدي القوم الفاسقين } وقوله تعالى : { وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد } يعني التوراة وقد بشرت بي وأنا مصداق ما أخبرت عنه وأما مبشر بمن بعدي وهو الرسول النبي الأمي العربي المكي (أحمد) فعيسى عليه السلام هو خاتم الأنبياء بني إسرائيل وقد أقام في ملأ بني إسرائيل مبشرا بمحمد وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين الذي لا رسالة بعده ولا نبوة . وما أحسن ما أورد البخاري عن جبير بن مطعم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب " (أخرجه البخاري ورواه مسلم بنحوه) . قال ابن عباس : ما بعث الله نبيا إلا أخذ عليه العهد لئن بعث محمد وهو حي ليتبعنه وأخذ عليه أن يأخذ على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليتبعنه وينصرنه . وقال محمد بن إسحاق عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا : يا رسول الله أخبرنا عن نفسك قال : " دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام " (رواه ابن إسحاق قال ابن كثير : إسناده جيد وله شواهد من وجوه أخر) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "

إني عند اﻻ لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي التي رأت أمي التي رأت وكذلك أمهات النبيين يرين " (أخرجه الإمام أحمد عن العرياض بن سارية مرفوعا) . وروى أحمد عن أبي أمامة قال قلت : يا رسول الله ما كان بدء أمرك ؟ قال : " دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام " (أخرجه الإمام أحمد) . وقال عبد الله بن مسعود : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلا منهم (عبد الله بن مسعود) و (جعفر) و (عبد الله بن رواحة) و (عثمان بن مظعون) و (أبو موسى) فأتوا النجاشي وبعثت قريش (عمرو بن العاص) و (عمارة بن الوليد) بهدية فلما دخلا على النجاشي سجدا له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ثم قالوا له : إن نفرا من بني عمناء نزلوا أرضك ورغبوا عمناء وعن ملتنا قال : فأين هم ؟ قالوا : هم في أرضك فابعث إليهم فبعث إليهم قال جعفر : أنا خطيبكم اليوم فاتبعوه فسلم ولم يسجد فقالوا له : مالك لا تسجد للملك ؟ قال : إنا لا نسجد إلا لله قال : وما ذاك ؟ قال : إن الله بعث إلينا رسوله فأمرنا أن لا نسجد لأحد إلا لله وأمرنا بالصلاة والزكاة قال عمرو بن العاص : فإنهم يخالفونك في عيسى بن مريم قال : ما تقولون في عيسى ابن مريم وأمه ؟ قال : نقول كما قال الله : هو كلمة الله وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسهما بشر ولم يعترضها ولد قال فرفع عودا من الأرض ثم قال : يا معشر الحبشة والقيسيين والرهبان والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما يساوي هذا مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده أشهد أنه رسول الله وأنه الذي نجاه في الإنجيل وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم أنزلوا حيث شئتم والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا أحمل نعليه وأوضئه وأمر بهدية الآخرين فردت إليهما (رواه أحمد وأصحاب السير) . والمقصد أن الأنبياء عليهم السلام لم تزل تنعته وتحكيه في كتبها على أممها وتأمروهم باتباعه ونصره وموازرتة إذا بعث وكان أول ما اشتهر الأمر في أهل الأرض على لسان إبراهيم الخليل والد الأنبياء بعده حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولا منهم وكذا على لسان عيسى بن مريم ولهذا قال : " دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بن مريم ورؤيا أمي التي رأت " أي ظهر في أهل مكة أثر ذلك والإرهاص فذكره صلوات الله وسلامه عليه . وقوله تعالى : { فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين } قال ابن جريج { فلما جاءهم } أحمد أي المبشر به في الأعصار المتقدمة المنوه بذكره في القرون السالفة لما ظهر أمره وجاء بالبينات قال الكفرة والمخالفون { هذا سحر مبين }